



المدخل إلى المنهج الإسلامي في الفنون الأدبية: الحقائق والخصائص

رسالة ماجستير للباحث: كمال الدين علي مبارك

بدعم من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية مكتب نيجيريا بكنو. وعقب المؤتمر تمّ تكوين اللجنة التنفيذية لإقليم نيجيريا، الإقليم الذي يولم اليوم لميلاد كتاب خاص لدراسة الأدب الإسلامي. فإن أهمية هذا الكتاب ترجع إلى كونه أول كتاب لمؤلف نيجيري يوضع خصيصاً لدراسة الأدب الإسلامي دراسة أدبية مستقلة.

والكتاب (المدخل إلى المنهج الإسلامي في الفنون الأدبية: الحقائق والخصائص) في أصله رسالة ماجستير، من إعداد الدكتور كمال الدين علي، صدر عن دار النور، أوتشي-نيجيريا، في أبريل ٢٠١٠ / الموافق لربيع الآخر ١٤٣١هـ.



عرض: د. مشهود محمود جمبا
جامعة ولاية كوارا، مَلَيْتَى

أما الجديد على علماء هذه المنطقة اليوم فهو نظرية الأدب الإسلامي التي هي نفسها حديثة العهد في الصعيد الدولي. ولعل أول نشاط تطبيقي معروف للأدب الإسلامي على الصعيد الوطني هو المؤتمر الدولي الذي عقد عام ٢٠٠٥م بكلية الدراسات العربية والشريعة الإسلامية بمدينة إلورن-نيجيريا،

ليس النتاج الأدبي الإسلامي في نيجيريا حديث العهد، بل كان متوغلاً في القدم ترجع أصوله إلى ما قبل الجهاد الذي قاده بنو فودي، وأرسوا على أساسه مملكة إسلامية رهيبة الجوانب، ودولة علمية عظيمة الشأن قبل سقوطها تحت أقدام الإنجليز عام ١٩٠٤م.

لقد كثر العلماء المسلمون في البلاد بين القرن السادس عشر والثامن عشر الميلادي كثرة مطلقة، ومن مميزات تلك القرون كثرة النتاجات الدينية والعلمية خلافاً للنتاجات الأدبية، ولما قامت الدولة الفودوية انطلق النتاج الأدبي شعراً ونثراً انطلاقاً واسعاً سريعاً، ومنذ ذلك الحين لم يلتفت إلى الوراء، اللهم إلا في فترة الاستعمار العاشم.



٢- أن كثيرا من أدبائنا وكتابنا المسلمين معجبون بكل فن غربي أو مذهب أدبي أوروبي... وتراهم ينوّهون بصاحبه وكتابه، ويتخذون قوله هذا حجة وشاهدا ومعيارا... ويحاولون تطبيق مبادئ مذهبهم على أدبنا العربي الإسلامي.

٤- أننا أهملنا جانبنا كبيرا من جوانب أدبنا الإسلامي الرفيع حتى إن كثيرا من المعنيين بالأدب لا يعرفون أن للإسلام منهجا خاصا حقيقيا في الفنون الأدبية لأن كثيرا من هذه الفنون وجدت بعد تمام نزول القرآن ووفاء الرسول...

واختتم المؤلف المقدمة بلباقة وتواضع، حيث قال: «فهذه هي بعض المحاولة لبيان وجه الحق، وجهد المقل... ولست أدعي ابتكارا ولا تجديدا في هذا المجال، وإنما لي في هذا العمل جهد النقل والجمع،

وإعادة الصياغة والتصرف والترتيب...» (ص ٢٠)

٤٠ أبواب الكتاب وفصوله

يحتوي الكتاب على أربعة أبواب، وسبعة عشر فصلا، وبيان ذلك كالآتي:

الباب الأول: الإسلام والأدب

الفصل الأول: الإسلام والشعر

بحث المؤلف في هذا الفصل قضية موقف الإسلام من الشعر، وأورد قول الله سبحانه: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢٢٧) (الشعراء).

ويحتوي الكتاب على ١٢٠ صفحة من النصوص العربية، وأربع صفحات من الملخص الإنجليزي. وإليك تفصيلا لمحتويات الصفحات:

يشغل الفهرس الصفحات الثلاث الأولى، ويليه تقريظ الكتاب بقلم الأستاذ الدكتور عبد الرزاق ديريمي أبوبكر، مدير جامعة الحكمة سابقا، ويردف ذلك تقديم

بقلم الدكتور قاسم بدماصي، الذي أصاب المفصل في هذه المهمة، حيث قرر أن الأدب الإسلامي لا يزال في طور النشأة في هذه الديار، وألقى ضوءا بصيصا على دواعي نشأة هذا الفن الرفيع كونه مادة علمية، ثم استعرض أبواب الكتاب وفصوله بالجملة.

وتأتي مقدمة الكتاب في ص ١٢، وفيه أشار المؤلف إلى أهمية الفن بنوعيه القولي والحرفي في نشر تصورات الناس وأفكارهم

واعتقادهم في الخالق، والكون، والإنسان. وصرح المؤلف في المقدمة بأن الكتاب تبلور عن رسالة ماجستير قدمها إلى جامعة اليرموك عام ١٩٩٥ م. ثم ذكر الدوافع إلى اتخاذ هذا الموضوع رسالة ماجستير، وملخصها:

١- ما شاع بين الناس من اعتبار كل ما يمت بسبب إلى الفن والأدب إلحادا وزندقة، وعدّ تعلمه لهوا ولغوا ولعبا...

٢- أن كثيرا من الأشعار والأناشيد والقصائد التي نعتبرها أشعارا إسلامية لأن قائلها من العلماء، وأنها قيلت في مدح الرسول، مع ما اشتملت عليه من الشراكيات، كثير منها بعيدة من أن تكون شعرا إسلاميا.

المدخل إلى النهج الإسلامي في الفنون الأدبية
الحقائق والخصائص

إعداد
الدكتور كمال الدين علي

دار الفؤاد، أوتشي-نيجيريا
٢٠١٠م/١٤٣١هـ



حيث قال: «وأما أي فن رسم أو نحت أو تصوير فوتوغرافي بأنواعه يظهر فضل الله على الإنسان... أو ما يظهر نحته أو رسمه فهو مقبول في فنون الأدب الإسلامي» (ص ٤٢). ولا شك أن عشاق فن الرسم من المسلمين سيتقبلون هذا القرار بشيء من الترحيب والارتياح، وقد كانوا يحزنون من تحريم بعض العلماء اتخاذ الصورة الفوتوغرافية.

الباب الثاني: الأدب الإسلامي ومجالاته

الفصل الأول: تحديد الأدب الإسلامي والأديب المسلم
عرف الأدب الإسلامي بأنه: «التعبير الفني الهادف عن وقع الحياة والكون والإنسان على وجدان الأديب ومشاعره تعبيراً ينبع من التصور الإسلامي للخالق ومخلوقاته، ولا يجازي القيم الإسلامية». ثم أورد تعاريف أخرى كثيرة.

الفصل الثاني: مجالات الأدب الإسلامي:
ليس من الضروري أن يتحدث الأديب عن حقائق العقيدة في صورة فلسفية، ولا عن الحكم والمواعظ والإرشادات ولا أن يكون عمله دفاعاً عن الإسلام وتمجيده له ولأيامه. قبل أن يتصف عمله بالأدب الإسلامي. فالشاعر أن يتحدث عن الجبال الشامخة، وعن النبتة في الصحراء، وعن الليل المقمر... وعن أفراح البشرية وأتراحها ومواجهها... ويكون فنه إسلامياً إذا تلقاه بتصوير الإسلام الصحيح... إذاً فلا حدود لمجالات الأدب الإسلامي وموضوعاته، لأنه يستمد روحه وتصوره من القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم. وتناول المؤلف قول عبد الله بن قيس الرقيات في مدح خليفة أموي:

إن الأغر الذي أبوه أبوال

عاص عليه الوقار والحجب

وانتهى بالقول: إن الإسلام لا يحارب الشعر لذاته، وإنما يحارب الفاسد من مناهج الشعراء، واستشهد على ذلك بحديث الرسول وقول أحد العلماء، ثم برهن على جواز قول الشعر بأقوال الرسول ومواقفه مثل عدّه الشعر من ضروب الجهاد حيث قال: «جاهدوا الكفار بأنفسكم وأموالكم وأنسنتكم»، وتأييده لقول الشعر وتشجيعه عليه. ثم رد على الشبهة القائمة على أن بعض الآيات القرآنية تنقص من قدر الشعر حيث نزه الله رسوله من قول الشعر فقال: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ...﴾ (يس).



الفصل الثاني: الإسلام والقصة:

عرف المؤلف القصة، وذكر مقاصدها نقلاً عن العقاد، وذكر موقف الإسلام منها بإيجاز شديد.

الفصل الثالث: الإسلام والخطابة:

عرف الخطابة وذكر أنها استخدمت أحكم استخدام، وأدت دورها الديني والاجتماعي والسياسي والثقافي والجهادي قبل انحطاطها.

الفصل الرابع: الإسلام وفن الرسم والنحت:

فصل المؤلف القول في وجوه تحريمهما وإباحتهما،

يعدّل التاج فوق مفرقه

على جبين كأنه ذهب

وانتقد البيهقي قائلا: «فقوله: «أبوه أبو العاص» فخر بالأنساب... (ص ٥٠)

قاعدة مهمة: هنا أود أن أنبه إلى نقطة مهمة أثارها المؤلف في صفحة ٥٢، حيث قال معلقا على قصيدة البحري في وصف الربيع التي مطلعها: «أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا»: «فشاعرنا وصف الربيع وصفا رائعا بديعا فنيا، ولكنه مفصول عن خالق الربيع، فهو أمر لا خير فيه ولا شر في ميزان الأدب الإسلامي، فكأنني به يقسم العمل الأدبي من حيث الخير والشر ثلاثة أقسام: عمل فيه خير لأنه موصول بالخالق، وآخر فيه شر لأنه ينكر الخالق، والثالث لا خير فيه ولا شر، لأنه مفصول عن الخالق».

الفصل الثالث: أهم خصائص الأدب الإسلامي:

يلخص المؤلف أهم خصائص الأدب الإسلامي في أنه: أدب غائي هادف، وملتزم بالتصور الإسلامي الثابت للخالق والكون والإنسان في جميع الموضوعات، وهو أدب أصيل، ويتميز بالاستقلال، وبالثبات والرسوخ، وهو أدب يتميز بالوعي، وبالإسانية في غايته، والفنية في وسيلته، وهو أدب الحياة كلها، وأدب واضح التصور.. لا أدب الحيرة والعبث.

الباب الثالث: أنواع المذاهب الأدبية الغربية، القديمة والحديثة، ومبادئها

وقد ذكر الغرض من ذكرها قائلا: «ونسعى وراء ذكر بعض هذه المذاهب، والتعرف على المبادئ التي قامت عليها عن عوارها وأخطارها لنتوقاها ونحذرنا لا لتقليدها أو محاولة تطبيقها». ثم ذكر منها: المذهب الكلاسيكي والرومنطيكي، والواقعي، والوجودي، والطبيعي، والرمزي وعلق على كل منها.

الباب الرابع: تحليل بعض النماذج من

الأدب الإسلامي وغيره:

ليس هذا العمل مجرد تصورات، ونظريات، بل خصص المؤلف جزءا كبيرا منه للتطبيق حين عرض نماذج، وأخضعها للتحليل على ضوء الأدب الإسلامي، واشتملت النماذج الجوانب الثلاثة: جانب الخالق، والكون، والإنسان.

الفصل الأول: نماذج من الأدب الإسلامي في الخالق، وقد تطرق لوجود الله سبحانه بأسمائه وصفاته.

الفصل الثاني: نماذج من الأدب الإسلامي في الكون (الطبيعة)، فهو آية من آيات الله الكبرى لم يوجد صدفه، ولم يخلقه الله عبثا، والعلاقة بين الإنسان والكون علاقة الصداقة والتعاطف والصفاء، لا علاقة خصومة وقهر وبغض، ولا علاقة تأليه وتقديس.

الفصل الثالث: نماذج من الأدب الإسلامي في الإنسان، لا يؤمن الإسلام بحيوانية الإنسان وماديته المطلقة، بل بإنسانيته وروحانيته، وهو بشر يتجاذبه عنصر الروح والطين.

الفصل الرابع: عرض بعض الأشعار ونقدتها على ضوء خصائص الأدب الإسلامي

وافتح المؤلف هذا الفصل بقوله: «هناك أشعار تعد شعرا إسلاميا لأن قائلها زعيم إسلامي كبير، وممن يعتقد فيهم الصلاح وصفاء العقيدة، وقيلت هذه الأشعار في صميم موضوع إسلامي، وكتبت باللغة العربية، ولكنها بعيدة عما يمكن أن يقال: إنه شعر إسلامي معنى ولفظا، لأنه مخالف لروح التصور الإسلامي فيما قيلت مثل هذه القصائد عنه، أو أنه لم يتصف بالجمال الفني. وحصر الأشعار في شعر المناجاة، وشعر مديح النبي، والقصائد الرمزية الصوفية. وقد بنى حكمه على خروج تلك الأشعار



عن روح التصور الإسلامي في ذات الرسول البشرية، رسول يقتدى به، ويوقر ولا يقدر، ويتبع فيما دعانا إليه، ولا يتوجه إليه بأي نوع من أنواع العبادات. وأول ضحية لهذه القاعدة قصيدة مطلعها:

يا رسول الله يا سندي

أنت مطلوبي ومعتدي

وقصيدة أخرى وقعت فريسة للمؤلف قصيدة دأب الشباب المسلمون والمتصوفة منهم خاصة على التسلي بها، وهي للصوفي الكبير الشيخ محمد الناصر كبرى، ومطلعها:

من مخالفة الشرع الحنيف...
وبعد ذلك عقد مقارنة بين ما قيل من مدح الرسول في الصدر الأول للإسلام، وما قيل بعد العصر العباسي الثاني أو بعد سقوط بغداد، فوجد بينهما بونا بعيدا، ثم قال: «فالأولى جاءت عن إيمان واقتناع وطواعية وفطرة مع العمق في المعنى والأصالة في اللفظ، والإبداع في الأسلوب والإصابة والنصاحة في الفكرة والبعد عن التصنع والتكلف... وأما الثانية فقل فيها ما تشاء من حشوها بالصنعة في الصيغة، والسطحية في الفكر، والركاكة في الأسلوب، والتكلف في التركيب...» (ص ١٠٥).

وأخيرا، تعرض المؤلف للرمزية الصوفية، وقال: إن كثيرا منها مملوء بكلمات مخالفة لصفاء العقيدة الإسلامية، وبمخالفات شرعية، وعلق عليها قائلا: «... فإنهم لم يقولوا هذه التخرصات واللفوف في ذات الرسول -صلى الله عليه وسلم- فتؤولها إلى المغالاة في الحب، ولكنهم قالوها في ذات الله -سبحانه وتعالى- كما نجد شكل هذه القصائد ومبناها أشد انحطاطا وأرك تركيبا، فأمثال هذه القصائد -أيضا- لا يعتد بها في ميزان الأدب الإسلامي» (ص ١٠٦).

واختتم المؤلف هذا الكتاب بلفت أنظارنا إلى

نقاط سبع هي:

- ١- دعوة الكتاب إلى الاهتمام بالفنون الأدبية الأخرى اهتمامهم بالشعر العربي.
- ٢- الدعوة إلى تكوين فرقة المسرحية الإسلامية من الشباب المثقفين الواعين الملتزمين ليعرضوا المسرحيات الهادفة الصالحة.
- ٣- دعوة أدبائنا إلى كتابة القصص القصيرة والطويلة المستقاة من حياة الأنبياء والصحابة والصالحين...
- ٤- الدعوة إلى استغلال المسلمين شتى وسائل الإعلام



يا رسول الله خذ بيدي

وتداركني فأنت أبي

أنت يا مختار مستندي

واليك اليوم منقلبي

وقد نقدها كلمة كلمة، وغربلها بغربال العقيدة، وأعقب ذلك بملحوظة ورد فيها: «إن ما في هذه القصيدة وأمثالها من عطب وخطر هو أن كثيرا من العوام لا يزالون يرتلون بها بشغف وخشوع وتلهف كأنهم يرتلون آيات من الذكر الحكيم، أو يدعون الله بأدعية من المأثورات النبوية مع ما في مثل هذه القصيدة وغيرها

المقروءة والمسموعة والمرئية لنشر الخير والحقيقة.
 ٥- التحذير من أخطار الأناشيد والمحفوظات المدرسية العربية التي نشم منها رائحة مخالفة التصور الإسلامي من تأليه أحد غير الله، أو دعاء الرسول، أو شطحات الأولياء، وقد قال: «فلنكتب الأناشيد والمحفوظات الأخرى التي تشتمل على خصائص الأدب الإسلامي ولا تجال في روح التصور الإسلامي.
 ٦- الدعوة إلى إنشاء الأندية الأدبية الإسلامية في مدارسنا الثانوية وجامعاتنا يقرض أعضاؤها الأناشيد ويلقون القصائد العربية الهادفة تحل محل الفرق الغنائية الشائعة في النوادي الغربية المنزع المنتشرة.

٧- الدعوة إلى إضافة مادة منهج الأدب الإسلامي ضمن مناهج دراستنا الأدبية ابتداء من المدارس الثانوية، والأقسام المعنية بالعربية في جامعاتنا.

«ثالثاً: لغة الكتاب وأسلوبه»

لضيق الوقت والمقام أيضاً لن نستطيع أن نتعرض لغة الكتاب وأسلوبه، ولا يسعنا سوى أن نمطر الكاتب بوابل من الثناء والشكر على سلامة لغته، ورونق أسلوبه، فهما إسلامياً المنزع، عصرياً المأخذ، وهما ممتعان وواضحان، بعيدان عن إسفاف الرمزيين، وتزلف الواقعيين، وتصنع الكلاسيكيين، وجنوح الرومانتيكين، والحاد الطبيعيين. ومن أراد أن يقف على شيء من ذلك فليقتن نسخة من الكتاب.

«رابعاً: ملاحظات حول مضمون الكتاب»

لقد بذل المؤلف في هذا الكتاب جهداً مضنياً، وإن كان يرى - من باب التواضع - أنه بذل جهداً ضئيلاً، فقد غاص بنا إلى أعماق هذا البحر الفني الإسلامي العميق، وخرج بنا إلى برّ الأمان سالمين غانمين، فجزاه الله عنا وعن الحق خيراً.

وقد لاحظنا أن الكتاب خال من بعض أشياء كانت

تزيده جمالاً ورونقاً إذا أضيفت إليه في الطبعة الثانية - والله الكمال - ومن ذلك:

أ- أن الكتاب لم يعن بطائفة من الأدب المحلي الذي نراه من صميم الأدب الإسلامي، وذلك مثل واكا العلماء - وهي أناشيد إسلامية تنشد في مجالس الوعظ بلسان محلي -، وأيوبي، وغيرهما.

ب- أن المؤلف ضنّ علينا بنماذج من الشعر العربي من إنتاج الشعراء النيجيريين، فحوالي ٩٥٪ مما عرضه في الكتاب مما قرضه العرب، والنماذج المحلية (سواء الموافقة للتصور الإسلامي والمخالفة لها) جدّ متوافرة.

ج- أن الكتاب لم يتعرض لقضية «الالتزام» في الأدب، مع أنها من الأسس والدعائم التي عليها بني الأدب الإسلامي، فكل ما قاله عنه لا يتجاوز ثلاثة أسطر في (ص ٥٥).

د- عدم التسوية بين الفنون الأدبية في المعالجة، فعلى الرغم من أن عنوان الكتاب يوحي إلينا بأنه سيعالج المنهج الإسلامي في الفنون الأدبية على حد سواء فإن الحديث عن القصة، والرواية، والمسرحية، والخطابة، والرسم والنحت مجتمعة لا يتجاوز تسع صفحات من بين ١١٦ صفحة، أضف إلى ذلك أنه لم يذكر نموذجاً واحداً لهذه الفنون كلها.

هـ- ما دام أن هذا الكتاب تبلور عن رسالة جامعية أشرف عليه مشرف، فإن من باب العرفان بالجميل أن يذكر اسم المشرف ولو في عجالة، ولا مانع كذلك من ذكر اسم واحد أو اثنين ممن تعاون مع المؤلف، وأسدوا إليه نصيحة أو أخرى في أثناء إعداد الكتاب، وإن كان ذلك ليس واجباً.

وأسأل الله سبحانه أن ينفعنا بالكتاب. وصلى الله على من لا نبي بعده، محمد بن عبد الله وآله

وصحبه أجمعين ■